الفصل الثاني
المجتمع الدولي

الربيع العربي

ألسنة النيران الملتهبة التي أضرمها البوعزيزي في جسده شكلت بداية الاحتراق لعقود من الكبت الشديد والاحتقان المتراكم الذي كان يعانيه مواطنو العالم العربي، نتيجة الصمت على الانتهاكات الجسيمة في مجال حقوق المواطن، غياب العدالة الاجتماعية، انتشار الفساد، المحسوبية واستفراد الحكام بالقرارعنوة. كما أنها شكلت مرحلة زوال الطبقة الصغيرة صاحبة الامتيازات اللامحدودة ومعها الطبقة الطفيلية المدلّسة لها، فيما ظهر سواد الشعب بطموحاته، آماله، آلامه وأحلامه. انتقال الثورة إلى بقية الدول العربية جاء كمدّ طبيعي لوحدة الحال الكبيرة. وقوف الثورة في سورية (الأسد) مؤقت مهما عمل النظام من المحاولات اليائسة من أجل الصمود في وجه التغيير. رايات الانتصار الشعبي العارم على الاستبداد سترفع والثورة ستمضي في مسيرتها ما دامت هناك أنظمة مشابهة لتلك التي انهارت. الشباب المتعطش للحرية والتغيير أسوة بأقرانهم في الدول المتقدمة والذي كان للتطور التقني دور كبير على

الإسراع في عملية التواصل والانفتاح على العالم لن يهدأ قبل أن يتحرر من قيود الحكام المستبدين.

الذي حصل في دول الربيع العربي أن التنظيمات السياسية الإسلامية كانت أكثر تهيؤا لاحتواء العديد من هؤلاء الشباب الثائر والاستحواذ على قيادة الحراك، مستفيدين من خلفيتهم السياسية كمعارضين تقليديين غير مجربين سابقا في أروقة الحكم، لذلك حظوا بالفرصة من قبل الشارع المنتفض في تحقيق نجاحات انتخابية والتوصل إلى قيادة البلاد. لكن الشيء الأهم أن هذه الأحزاب هي تحت الاختبار من قبل الشارع الهائج المنتظر للكثير من الإنجازات السريعة خاصة في المجال الاقتصادي وانعكاسها المباشر على ظروف الحياة اليومية.

الكثير من التحديات تواجه القادة الجدد أهمها الارتقاء بأنظمتهم الجديدة إلى مستوى الطموح التي لأجلها قامت الثورات.

يجب أن لا ننسى بأن ثورات الربيع العربي فطرية، تلقائية، غير مؤدلجة، انتفاضات من أجل الحرية أولا والعيش الكريم ثانيا، إذا تحقق إحدى الهدفين دون الآخر فسيكون خيار اللجوء إلى الشارع دائما مطروحا. التوتر السياسي وعدم الاستقرار في العالم العربي سيكون له تداعيات سلبية كبيرة، من جميع النواحي، الاقتصادية، البشرية، السياسية، ليس فقط على المنطقة بل على العالم.

في مقال بعنوان (العالم العربي بحاجة إلى الدعم) الذي نشر في صحيفة داغنز نيهيتر السويدية بتاريخ 16-07-2012 لسينان أولجن باحث

زائر في معهد كارنيغي أوروبا ورئيس مركز أبحاث في إستانبول يتحدث عن أهمية الدعم الدولي للقادة الجدد فيما يلي ملخص عنه:

يجب على المجتمع الدولي دعم قادة الربيع العربي الجدد بالمال والخبرات وإلا فهناك خطورة من نشوب اضطرابات سياسية جديدة في تلك الدول. التسويات في مصر بين القادة العسكريين والإسلاميين يشكل تذكيرا بمقدار الصعوبة التي ستواجهها مسيرة التحول إلى الديمقراطية. إن لم يتم التوصل إلى آلية عمل مشتركة لتوزيع السلطات فيما بينهما سوف يؤدي ذلك بطبيعة الحال إلى إطالة وضعية عدم الاستقرار السياسي. لكن الشلل في الحالة الاقتصادية المرافقة لا تقل خطورتها عن ذلك في التأثير على ترسيخ الديمقراطية. هؤلاء القادة الذين تحولوا من إسلاميين إلى حكام عوضا عن النظام السابق، يعرفون بكل تأكيد بأن الآفاق الاقتصادية في بلدانهم يجب أن تتحسن، وأن بإمكانهم الاحتفاظ على شعبيتهم فقط إذا تمكنوا من الإسهام في زيادة التنمية، خلق المزيد من فرص العمل ورفع مستوى المعيشة. هذه من المضامير التي يصعب التوصل إلى نتائج مرضية فيها عادة ولكنها أضحت أكثر صعوبة منذ حلول الربيع العربي الذي أدى إلى ارتباك النظام الاقتصادي في عموم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

حتى في تونس ومصر حيث التحول الديمقراطي قد قطع شوطا أطول، أثرت حالة عدم الاستقرار السياسي على الأداء الاقتصادي. لأول مرة منذ عام 1986 انكمش الاقتصاد التونسي 2011 بنسبة 1⅛ والبطالة وصلت إلى 18٪.

بارتفاع ٪13 مقارنة مع عام 2010. الاقتصاد المصري نقص بنسبة ٪8٫0 وفقد مليون مواطن مصري عمله. كما أن الاستثمارات الأجنبية انخفضت من 6٫4 مليار دولار عام 2010 إلى 500 مليون دولار فقط عام 2011. العجز في الميزانية المصرية وصلت إلى ٪10 من إجمالي الناتج القومي وانخفاض الاحتياطي النقدي إلى 15 مليار دولار ما يكفي تماما لدفع استيراد ثلاثة أشهر. حتى في تونس ارتفع العجز في الميزانية بشدة بعد الثورة من ٪2٫6 من إجمالي الناتج القومي 2010 إلى ٪6 عام 2011.

هذا التدهور السريع في مواجهة التأملات الكبيرة المرتقبة التي أيقظتها التحولات السياسية يفرض على الأحزاب السياسية طرح برنامج اقتصادي أكثر تفصيلا لكي يتماشى مع شكاوى الناخبين التي تتزايد باستمرار حول الأوضاع المادية. الإسلاميون تناولوا المواضيع السياسية قبل كل شيء وشددوا على الإصلاحات الديمقراطية، لكن في الحملات الانتخابية الأخيرة مال المرشحون أكثر فأكثر إلى التعبير عن التطلعات الاقتصادية.

جميع اللاعبين وخاصة الأحزاب الإسلامية اتخذت إجراءات تصالحية لابأس بها فيما يخص العلاقات الدولية. البرامج الاقتصادية لهذه الأحزاب متناسبة إلى حد ما مع سياسة السوق وتشدد على أهمية دور القطاع الخاص كمحرك للنمو، كذلك الحاجة إلى رأس المال الأجنبي. الدولة يجب أن تضمن العدالة الاجتماعية ونادرا ما يسمع منهم الحديث عن مبادئ الشريعة. في كل من تونس ومصر أكدت الأحزاب السياسية

أن قطاع السياحة الهام لن يتم مضايقته بمحظورات مستمدة من القوانين الإسلامية. برامجهم الاقتصادية تفسح المجال للحصول على المساعدات من المؤسسات الدولية.

المقاومة ضد التدخلات الأجنبية ومساعداتها فيما يتعلق بالإصلاحات الديمقراطية كانت قوية، ولكن يبدو الآن أن قادة العرب الجدد أكثر رغبة في التعاون مع الغرب حول الأهداف الاقتصادية.

الضعف الاقتصادي يعطي الفرصة لدول جديدة كي تتعاون مع هذه القيادات الجديدة. على المدى القريب والبعيد.

يجب إعطاء الأولوية للأهداف القريبة فهناك ضغط شديد على الأحزاب الإسلامية بأن تحقق نتائج ايجابية خلال ولايتها الانتخابية الأولى. الحكومات الجديدة تقع تحت وطأة الضغط المباشر لخلق المزيد من فرص العمل والطريقة الوحيدة لتحقيق ذلك هي في إمكانية الاستثمارات على نطاق واسع في المشاريع العامة. المجتمع الدولي بإمكانه المبادرة بوسائل عديدة لمساعدة هذه الحكومات في المثابرة والبقاء في الحكم، يستطيعون أن يرفعوا من سقف المساعدات المالية الموعودة، بالإضافة إلى الدعم بالخبراء الماليين في الاقتصاد العام.

المجتمع الدولي يستطيع أيضا مساعدة الحكومات العربية على تأسيس إطار قانوني ونظام رقابي لمشاريع البنية التحتية الكبرى المشتركة العامة والخاصة. اللاعبون الدوليون يستطيعون بعدئذ مساعدة الحكومات بتسويق الإجراءات لكي ينعم الاقتصاد العربي بالانتعاش من التمويل

الخارجي البعيد المدى فيما يتعلق بالبنية التحتية.

مزيج من هذه الإمكانات فقط هي التي ستسمح للاقتصاد العربي بخلق العديد من فرص العمل الجديدة في فترة زمنية قصيرة، في الوقت نفسه تتجنب خطر زعزعة الاقتصاد وعدم التوازن أو غياب التمويل للاستثمارات الخاصة. الغرب من جهته سيكسب الكثير من خلال التعاون الموثوق مع العالم العربي لكي تتمتع مجتمعاتها باقتصاد جيد في المستقبل.

عدم التدخل في حل الأزمة ساهم في تفاقمها

خمسة عشر شهرا مضت على معاناة شعبنا السوري في مواصلة مسيرته النضالية المثخنة بالجراح عمليا بمفرده من حيث التأثير الإيجابي وليس بمفرده من حيث التأثير السلبي أو دعني أقول التدخلات التي (زادت الطين بلة). ما يحدث الآن ستقرؤه الأجيال القادمة في كتب التاريخ المعاصر لسورية.

خمسة عشر شهرا من عمر انتفاضة شعب ثار على الذل واختار طريق الكرامة بإرادة من يريد أخيرا أن يصبح سيد قراره بعد عقود من الخنوع، الاضطهاد، سيطرة الحزب الواحد، كتم الأفواه وسلب الحريات.

نهضة شعب عمد على إيصال صوته إلى العالم الخارجي في عصر يصعب فيه الادعاء بأني لم أر ولم أسمع.

استمرار النزيف السوري كل هذه المدة الطويلة وموقف المجتمع الدولي الهش والمبهم حياله يترك المجال لأسئلة عديدة تفرض نفسها بقوة:

هل المجتمع الدولي بكل ما أوتي من قدرات علمية وعملية عاجزعن

إيجاد مخرج للأزمة السورية؟

لو تصرف المجتمع الدولي بشكل مغاير أكثر فاعلية! ما النتائج التي كانت ستتوصل إليها؟

هل كانت قادرة على منع وقوع المجازر المروعة التي طالت أرواح المواطنين العزل؟

أسئلة شتى تفرض نفسها حول ماهية الأنظمة والدول التي تريدها القوى العالمية الكبرى أن تبقى حاكمة في الشرق الأوسط خاصة والعالم الإسلامي عامة؟ ما هي المواصفات الأيديولوجية المطلوب توافرها في الأحزاب والقوى السياسية التي تنال استحسانهم؟ ما مدى أهمية استمرار الأنظمة الدكتاتورية القائمة بالنسبة لهم؟ كم هي عدد الأرواح المسموح لهذه الأنظمة بزهقها كل ضمن ملاكه؟

الانتفاضة السورية ساهمت في نزع الغشاوة عن الأعين حول ادعاءات الكثير من الدول في (العالم الحر) بالوقوف إلى جانب المظلوم والمناداة بالتغيير الديمقراطي.

تصرف العالم الخارجي حيال الأزمة السورية يرسي دعائم السياسة الميكافيلية ويرجع العالم أحقابا إلى الوراء إلى عصور لم تكن فيه الحقوق مصانة إلا للقوي.

ماغنوس نوريل باحث في معهد السياسة الخارجية في ستوكهولم، متخصص في شؤون الإرهاب والشرق الأوسط، كتب في القسم الإلكتروني من صحيفة سفينسكا داغبلادت كبريات الصحف السويدية

بتاريخ 5 حزيران 2012 مقالة بعنوان عدم التدخل في سورية يزيد من خطر نشوب حرب أهلية شاملة. فيما يلي ملخص لأهم ما ورد فيها:

النزاع السوري في طريقه إلى الأسوأ عبر عدم تداركه من قبل العالم الخارجي. كلّما طال الزمن للتوصل إلى حل كلّما ازدادت أعداد الضحايا من السوريين وبنفس الوقت تزداد خطورة نشوب حرب أهلية شاملة.

يعني ذلك بأن القتل سوف يستمر والخشية من أن ادعاءات النظام السوري المستمرة بوجود إرهاب من الخارج تتحول إلى حد ما لحقيقة. هناك معلومات أكيدة على وجود مجموعات سنية عاملة داخل سورية، حتى إذا كانوا لا يتمتعون بالدعم الشعبي كما يدّعون، سوف يشكل ذلك تحديا للمعارضة المنظمة ولكن المنقسمة أن تقدم نشاطا مقابلا ووفق أهداف واضحة بعمل فعّال مضاد.

تشرذم المعارضة يوعز إليه كجزء من أسباب غياب الجهد الدولي المؤثر لكن ذلك ليست الحقيقة كلها.

لو أن العالم الخارجي حقا أراد ذلك (القيام بجهد فعّال) لبادر في إنشاء منطقة حظر جوية والتي بدورها ستؤدي إلى المزيد من الضغط على الأسد، وبنفس الوقت تسهم في توحيد المعارضة بشكل أكبر مما هي عليه الآن.

بدعم من الجامعة العربية وغالبية المعارضة (الأمر المتاح الآن) يمكن الالتفاف على قرارات مجلس الأمن المعطلة بسبب الفيتو.

القيام بذلك ممكن لكنهم لا يريدون الآن في الوقت الحاضر. ذلك ليس بسبب التخوف من القوة العسكرية السورية، خطورة قدرتها الحربية

مبالغ فيها بشكل كبير جدا. بل التخوف من انتشار النزاع إلى الدول المجاورة مثل لبنان وتركية. لكن حتى هذه الحجة تبدو مثقوبة لأن النزاع قد عمل أثره ووصل فعلا إلى هناك، لقد وقعت حالات القتل

في كلا البلدين نتيجة العراك في سورية. في لبنان حدثت بعض الاشتباكات الصغيرة بين مؤيدي الأسد ومعارضيه.

هناك خطورة من أن ينتشر النزاع ويتحول إلى الأسوأ حتى في الداخل السوري من خلال عدم قيام العالم الخارجي بالتصرف الفعّال والقوي بشكل كاف أكبر بكثير من الخطورة في أن تتحول إلى الأسوأ بسبب التدخل.

. كلّما طال الوقت للتوصل إلى حل كلّما ازدادت أعداد القتلى من السوريين وبنفس الوقت تزداد خطورة نشوب حرب أهلية شاملة، الحرب التي يريد العالم الخارجي تجنب نشوبها.

تبعات المواقف الدولية

يومان بالكاد عند كتابة هذه السطور على موعد مؤتمر جنيف 2 المرتقب الذي سيعقد ليومين في مونترو السويسرية لينتقل المؤتمرون بعدها إلى جنيف بعد استعدادات طويلة من قبل الرعاة الكبار. كل الدلائل تشير إلى أن هذا المؤتمر لن يشكل سوى تقهقر في مسيرة فوضوية مرتبكة ولن يكون في أحسن الأحوال حتى رقم في قائمة طويلة من المؤتمرات القادمة باتجاه إيجاد خريطة طريق تخرج سورية من عنق الزجاجة لتبدأ بعدها مسيرة سلام طويلة بحزمة من القرارات المتتابعة.

دور الإدارة الروسية بدءا بمحاولاتها الحثيثة لإشراك إيران في المحادثات ووصولا إلى تزويد نظام الأسد بالمزيد من السلاح والعتاد قبل انعقاد مؤتمر السلام المنشود بأيام لا يفسح المجال ولو لبصيص من الأمل والتفاؤل!؟

العالم الخارجي المتلكئ منح النظام الديكتاتوري بالإضافة إلى الجرأة فسحة واسعة من الزمن لابتكار الأداة والوسيلة الكفيلة ليس فقط بالقضاء على معارضيه بل على كسر إرادة جميع السوريين الذين لا يعلنون

ولاءهم له على الملأ. المواقف الدولية السلبية جعلت الجميع دون استثناء يشكلّون أهدافا مشروعة لآلة النظام الحربية الفتاكة .

الصحفي ماغنوس فالكيهيد والمصور نيكلاس هامارستروم السويديان اللذان احتجزا كرهينتين في سورية لمدة ستة أسابيع يقولان في تقرير كانا قد أعدّاه قبل اختطافهما نشرته أمس في التاسع عشر من يناير صحيفتا "داغنزنيهيتر" كبرى الصحف السويدية الصباحية و"أفتونبلادت" المسائية:

توقفنا شرقي يبرود تحت دفء الشمس أمام بناية بيضاء كان يلعب هناك بعض الأطفال أمام الدرج. تجمع أيضا بعض الأهالي هناك معظمهم من النساء، بعض من الأطفال الآخرون يلعبون ورجلان مسنان. كانوا يحاولون أن يشرحوا لنا كم هي متعبة حالتهم مع خزانات المياه الموجودة على السطح التي رشّحت فيضا من المياه وجعلت البناية تعاني من الرطوبة والبرودة الشديدة، فجأة تظهر طائرة سوخوي حربية روسية الصنع من جهة الوادي الجنوبي، الطائرة الهجومية ترعد في الجو مخلّفة ذيلا من الدخان الأسود القاتم. بعد ثوان نشاهد الطائرة تخرج من خط سيرها متجهة بشكل مباشر باتجاه تجمعنا، يهرع البعض للاحتماء بمكان ما، آخرون يتسمّرون في مكانهم وقد تصلّبت أقدامهم وهم ينظرون إلى الطائرة الحربية وهي تنخفض في هجومها على تجمعهم بعلوّ لا يزيد على خمسين مترا عن الأرض وتبدأ بفتح أفواه مدافع دائرية لتطلق منها نيران صواريخها مترافقة بهدير يصمّ الآذان. لحسن الحظ كان الفرق ثانية واحدة

في تأخر وصول الطائرة وسقطت قذائفها النارية خلف البناء. لكن مثلما بكل وضوح رأى المواطنون المدنيون لحية الطيار السوداء وهو يهاجمهم، كان الطيار أيضا يرى الأهداف المدنية التي يوجه إليها قذائفه.

الآن السؤال الذي يفرض نفسه: ما هي الآمال المتوقعة من نظام يمارس هذه الأساليب الوحشية ضد المدنيين من عامة الشعب في أن يتنازل عن السلطة؟

والتساؤل الآخر إذا كان أركان النظام ليس لديهم استعداد للتخلي عن السلطة فهل يستطيعون إرجاع شعب كامل إلى قاع الزجاجة مرورا بعنقها الذي خرجوا منها بعد أن أصبحت عورة نظامهم وزيف شعاراته البائسة للبقاء في سدة الحكم مكشوفة لهم؟!

كل الدلال تشير وأتمنى من كل قلبي أن أكون مخطئا بأن آلة القتل سوف تستمر في حصد أرواح السوريين إلى إشعار آخر، فيما العالم الخارجي يبقى متفرجا!؟

لا شك أن الوضع السوري يسير مع كل يوم يمضي من سيئ إلى أسوأ وإلى أشد سوءا، كما أنه يزداد تعقيدا من جراء مواقف المجتمع الدولي الخجولة وعدم التقاء مصالح القوى الإقليمية والدولية حول صياغة مشتركة لخطة طريق تخرج المسألة السورية من عنق الزجاجة. مواقف القوى المذكورة وقراراتها تؤثر في الواقع المعاش على أرض المعارك حيث ترفع من قوة جانب النظام حينا وقوى المعارضة المسلحة حينا آخر لكنها في جميع الأحوال تسهم بكل تأكيد في استمرار النزيف السوري، تقطيع أوصال البلاد، تساهم في تعميق الجرح، تفاقم عذابات المواطن العادي وتجعله يسير هائما على وجهه فأي مكان خارج وطنهم سيكون أرحم من براميل النظام المتفجرة، سيوف جلادي التنظيمات الإرهابية وضلالهم.

في مقال نشرته مؤخرا صحيفة الإندبندنت البريطانية بعنوان تركية والسعودية تنذران الغرب من خلال دعمها للجماعات الإسلامية المتطرفة التي تقصفهم أمريكا. تريد الصحيفة تسليط الأضواء على الخلافات التي تشتت القوى الإقليمية والدولية الداعمة للثورة وبالتالي القوى المسلحة التي تمولها كل منهم وتأثيراته على مسار الثورة السورية:

تركيا والسعودية تدعمان تحالف ميليشيات الجهاديين المتطرفين الثائرة والتي تضم الفرع السوري للقاعدة ضد بشار الأسد. الدولتان تساندان

الثوار المنضوين تحت لواء جيش الفتح الذي يشكل الهيكلة القيادية للجماعات الجهادية بما فيها جبهة النصرة، الجماعة المتطرفة المنافسة لتنظيم الدولة والتي تشاطرها الكثير من الأفكار المماثلة خاصة فيما يتعلق بالمفاهيم المتزمتة بشأن إقامة الخلافة الإسلامية. قرار الدولتين الحليفتين لدعم النصرة التي تلعب دورا قياديا في المعارك يشكل نذيرا للحكومات الغربية التي لم تكن على توافق تام مع أمريكا التي تقف ضد تسليح الجهاديين في الحرب الأهلية السورية الطويلة كما أن ذلك يهدد محاولة واشنطن تدريب المعارضة الموالية للغرب التي أعلن عنها أوباما منذ عام والذي اتضح مؤخرا بأن عددهم قليل كما أنهم سوف يحاربون داعش وليس النظام.

تقول الإندبندنت من خلال تواصلها مع الدبلوماسيين بأنه تم التوصل إلى توافق بعد زيارة أردوغان للرياض ولقائه الملك سلمان في أوائل آذار من العام الجاري. العلاقات كانت قد استاءت بين السعودية وتركيا نظرا لدعم تركيا للإخوان المسلمين الذين تعتبرهم المملكة تهديدا لها. لكن أردوغان أوضح للمسؤولين السعوديين بأن سلبية الغرب في التعاطي مع الملف السوري على وجه الخصوص عدم سعيهم لإقامة منطقة آمنة يحتم على القوى الاقليمية أن تتقارب لدعم المعارضة.

جيش الفتح الذي هو عبارة عن تحالف عدد من الجماعات الإسلامية المتطرفة مثل أحرار الشام، جند الأقصى بين أعضائها السبعة لديهم مقر قيادة في إدلب شمال سورية. تستمر الصحيفة في قولها بأن تركية اعترفت

بتقديمها للمساعدات اللوجستية والخبرات لمقر قيادتهم لكي تستفيد منها تلك الجماعات. كما اعترفت بصلاتها مع أحرار الشام الذين تعتبرهم أمريكا من المتطرفين لكنها حاربت تنظيم الدولة مثلها مثل النصرة في بعض الأماكن من سورية. كذلك تدّعي تركيا بأن دعم أحرار الشام سوف يقلل من شأن جبهة النصرة. تقول الصحيفة بأن السلاح، العتاد والمال تأتي من السعودية هذا ما يقوله المسؤولون فيما تتكفل تركيا بتأمين المعابر. القرى الحدودية مثل غوفيجي، كيوباسي، هاجي باشا، باس أصلان، كوسكالي، بوكوليز هم من المعابر المفضلة حسب الثوار.

التوصل إلى الاتفاق حصل بين تركية والسعودية من خلال تباين مواقف بلديهما مع الموقف الأمريكي حول نظرتها إلى القوى السنية الإقليمية فواشنطن صرحت علنا بأنها لن تسلح الجهاديين كما أنها قصفت مواقع للنصرة في حلب في أول أيام الحملة العسكرية ضد تنظيم الدولة بحجة أنها تخطط لهجمات ضد الغرب. الصحيفة تقول بأن السعودية ترى بأن أمريكا تعمل وكأنها بحاجة إلى دعم شيعة إيران في مواجهة داعش متأملة من أن الاتفاق النووي الإيراني سوف تجعل من طهران أقل اهتماما بشأن إزاحة النظام الحليف لها في دمشق.

تتابع الإندبندت الإشارة إلى عدم رضا الدول السنية من المقاربة الأمريكية الإيرانية إلى انسحاب الملك سلمان من الاجتماع مع أوباما في البيت الأبيض وتمثيله من قبل ولي العهد الأمير محمد بن نايف ومن أصل ستة زعماء خليجيين حضر أمير قطر والكويت.

الصحيفة ترى أيضا بأنه من وجهة نظر سنية فإن العمل الأمريكي في سورية ضئيل فقد انقضى عام على إعلان الرئيس الأمريكي أوباما عن برنامج 500 مليون دولار لتدريب المعارضة ولم يظهر منه حتى الآن سوى بضع متدربين معتدلين فشلوا في التصدي للمتطرفين وتراجعوا تاركين أسلحتهم، المسؤولون الأمريكان يعزون ذلك للإجراءات القاسية التي تطبق خلال اختبارات التعبئة.

كما تقول الإندبندنت بأن واحدة من أكثر الحالات إحراجا لواشنطن كان انسحاب حركة حزم تاركة قواعدها، مخلفة أسلحتها المتطورة والممولة أمريكيا لصالح جبهة النصرة، بالإضافة إلى شائعات حول انتهاكات لحقوق الإنسان ترتكبها الجماعات المدعومة غربيا حسب السكان المحليين.

حتى الآن هناك أربعة آلاف شخص من المقرر أن يحصلوا على تدريبات استعمال الأسلحة الخفيفة في البرنامج الحالي، سوف يبدؤون في معسكرات تدريب في تركيا، الأردن، السعودية ومن غير المتوقع أن يكونوا جاهزين لبضعة أشهر كما أن البنتاغون تتوقع أن يستغرق ذلك ثلاثة أعوام قبل أن تكون القوة التي قوامها خمسة آلاف مقاتل جاهزة.

العلامات الرئيسية في التقارب بين السعودية وتركية كانت حول الإخوان المسلمين، السعودية رحبت بالانقلاب على حكومة مرسي في مصر فيما كانت جماعة الإخوان تحظى بالدعم التركي المتواصل منذ وصول أردوغان إلى السلطة. الآن يقول الدبلوماسيون والمسؤولون طبقا

للإندبندنت بأن السعودية قد وافقت على أن يستمر الإخوان بدورهم في المعارضة السورية.

من جهتها فإن مقاتلي المعارضة يدعون بأنه بعد هزيمة الجماعات المدعومة من الغرب في مواجهة النصرة، بدأت واشنطن بقطع التمويل عن معظم الجماعات التي من المفروض أنها تحسب من المعتدلة وحركة حزم كانت المفضلة من بينهم قد تم قطع تمويلها للنصف فيما كتيبة الفاروق قطع عنها كامل التمويل.

يقول عبد اللطيف صباغ ضابط في أحرار الشام أن المدعومين من الأمريكان يقولون بأنهم ثوار لكنهم يعانون من الفساد وعدم التأهيل، جيش الفتح ناجح لأن الجميع يقاتلون معا، نحارب تنظيم الدولة كما أننا نحارب بشار أيضا، الأمريكان يقصفون داعش لكنهم لا يفعلون شيئا ضد النظام لذلك توحدنا جميعا لمحاربتهما.

جيش الفتح حقق تقدما في المناطق التي كانت تحت سيطرة النظام واستولت على إدلب وبلدات وقرى أخرى، النصرة قدمت أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل في العملية، الأمر الذي وضع الثوار في موقع مؤهل للهجوم على اللاذقية والشريط الساحلي.

تختم الصحيفة بأن جيش الفتح يستعد للهجوم على القسم الذي يسيطر عليه النظام في حلب كبرى المدن في البلاد.

لعل هذه التطورات التي حدثت متوالية لصالح قوى المعارضة تفسر سبب ازدياد التدخل الروسي المباشر في الشأن السوري والظهور العلني

لقوات بوتين في مناطق من الساحل لحماية النظام من السقوط وبالتالي سد الطريق أمام الجماعات الأصولية من الاستيلاء على مؤسسات الدولة، ما يؤكد بقاء الوضع السوري في نفقه المظلم وغياب بوادر الحل إلى أجل غير مسمى.

فشل دبلوماسية عنان

المبادرة التي كلف بها السيد كوفي عنان منذ شباط الماضي جاءت كفرصة ذهبية لدبلوماسي عريق سابق كان من المعتادين على الأضواء والتهافت الإعلامي لكنه أصبح مرميا على الرف منذ عام 2006 بعد انتهاء مهامه كأمين عام للأمم المتحدة، أعلى منصب دبلوماسي دولي نجح في التوصل إليه نتيجة دهائه في التودد إلى أصحاب القرار.

عنان فشل في المهام التي كانت مناطة به كمسؤول عن قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة من خلال صمته وسلبيته اللتين كانتا السبب في عدم تدارك المجتمع الدولي والحيلولة دون حدوث القتل العام في رواندا عام 1994. حتى إن الكثيرين انتقدوا نيله لجائزة نوبل للسلام 2001 انتقاد شديدا. جرائم ملادج وكارادازج التي أودت بحياة أكثر من سبعة آلاف شخص من أهالي سربرنيتسا 1995 في مجازر تعدّ الأبشع في التاريخ المعاصر ووصمة عار على جبين الإنسانية كان من الممكن تفاديها لولا عدم اكتراثه بأرواح الغير وتصرفه اللا مسؤول بعدم إخطار المجتمع

الدولي عن حيثيات الأهوال الرهيبة في حينها وطلب الحماية للمدنيين من خلال التدخل العسكري.

كما هو معروف أيضا لو أن الأمور سارت كما اشتهاها عنان عام 2003 لبقي طاغية العراق صدام حسين جاثما على صدور العراقيين حتى يومنا هذا وشراكة نجليه لأينعت وتصدرت الكثير من بورصات العالم.

مباركة الخطة التي اقترحها الموفد الدولي من القوى الغربية والجامعة العربية جاءت نتيجة الشلل الذي أصيب مسيرة المواقف الدولية بحكم الفيتو الروسي، الصيني والاعتقاد بأن تنفيذ بنود الاتفاق الستة قد يفضي إلى المزيد من الاحتجاجات وبالتالي التغيير الديمقراطي السلمي أو التوصل إلى وقف القتال والمظاهر المسلحة بحيث يصبح النظام في موقف مسيطر يمكنّه من ترتيب الأمور في البلاد بهدوء، عندئذ يمكن الضغط على وسائل الإعلام المناوئة للسلطة لتوقيف حملاتها الإعلامية فيستتب الأمن والاستقرار دون التورط في غزو مماثل للغزو العراقي والذي يفتقد الغرب وخاصة الولايات المتحدة بإدارة أوباما الشهية للمزيد منها.

عنان يعمل على التوصل إلى وقف لإطلاق النار، سيان عنده في ذلك من سيحكم سورية، نجاحه سوف يعطيه الثقة بالنفس بأنه مازال بخير ولم يتحول إلى متقاعد عديم المنفعة لا يكترث لحاله أحد وربما يحظى مستقبلا بمهام جديدة في السودان، الجزائر أو غيرها من البؤر المرتقبة. وقف إطلاق النار بالنسبة له هو الهدف وليس التوصل إلى حل للأزمة نفسها وإنهاء المأساة التي أودت بحياة الآلاف من السوريين نتيجة همجية

النظام في التعاطي مع الحراك. لا ضير عند الوسيط الأممي حتى لو كان ذلك التوقف مؤديا لإخماد للثورة.

القنوات والطرق الملتوية التي سلكها عنان منذ أكثر من ثلاثة أشهر تدعم هذه النظرية أي أنّه والأسد يريدان التوصل إلى النتيجة ذاتها. الأمر ليس تجنيا فالنهج السياسي والسلوك الدبلوماسي المنحرف البعيد كل البعد عن الأخلاق والقيم التي تظهر جليا يوما بعد يوم من الموفد الدولي الذي يتعامل مع الأزمة في بلدنا المنكوب وشعبنا المتألم وكأنه يتعاطى مع محنة تخصّ مخلوقات من كواكب أخرى. لا يبارح أروقة الفنادق الفخمة إلا للقاء الرئيس الأسد أو أعوانه. حصوله على مباركة حليفي سورية القويتين روسيا والصين لم تأت من فراغ بل جاءت بعد أن أصدرا إملاءاتهما عليه وتأكدا من أن المبادرة سوف ترسخ بقاء الأسد في السلطة ووأد الفتنة من وجهة نظرهما.

الخطة كانت وما تزال ضحكا على الذقون ذلك لافتقارها لورقة عمل داعمة في حال عدم امتثال النظام لتنفيذ بنودها الستة ولأن الخطة تحت وصاية الدولتين المذكورتين، النفاق والرياء السياسي والأخلاقي في الأزمة السورية فاق كل التقديرات.

تحولت سوريا بأرضها وشعبها إلى حقل تجارب من خلال سيناريوهات متكررة من بعثة مراقبي الدابي إلى عنان- مود والاستمرار في النهج نفسه في الوقت الذي يرتفع أعداد الضحايا من المواطنين السوريين الأبرياء يوما بعد يوم.

الروس والصين يؤدون أدوارهم تماشيا مع مصالح أنظمتهم الإستراتيجية وعنان ينفذ. الملامة كلها تقع على المعارضة ومجموعة أصدقاء سورية. المعارضة معنية كطرف أساسي بأن تقبل أو ترفض الوساطة وليس كل شيء توافق عليه الدول الداعمة هي في صالح الشعب السوري. المبادرة التي تفتقد الأسس والأطر التي تؤهلها للنجاح ستخفق لا محالة.

حتى لو انطلت الحيلة على الدول الداعمة لانتفاضة الشعب السوري كان من المفروض إلا تنطلي على المعارضة التي تعرف سبل النظام وألاعيبه، خصوصا مع وساطة موفد دولي له باع طويل في التعاطي السلبي مع قضايا مصيرية

و إرضاء الأقوياء وأصحاب القرار.

على الرغم من الارتفاع الملحوظ في أعداد الضحايا السوريين منذ تولي الرجل زمام مبادرته وإعلان فشله مؤخرا إلا أنه لم يعلن تخليه عن المهمة لكي يفسح المجال أمام المعارضة وأصدقائها للبحث عن آليات عمل أخرى للحل. عنان يزور دمشق وابتسامة صفراء تغطي سحنته البليدة، فرحا بخيبته يلوح بيديه محييا مستقبليه من جموع الشبيحة الذين كانوا في انتظاره. التخلي عن المهمة يعني بالنسبة له العودة من الأضواء العالمية إلى الظلمات كمتقاعد منسي.

الآن بعد أن عمل وفق إرادة روسيا والصين ولم ينجح في إخماد الثورة يريد استخدام الورقة الأخيرة وهي إيران لكي يمكّن النظام من السيطرة

على الأمور.

عنان لم يبحث عن الحل ولا يسعى إليه! لو أراد ذلك وكان صادقا في مبتغاه لطالب بقوة أممية مسلحة قوامها لا تقل عن خمسة آلاف رجل، مدعوما هو نفسه كمنسق للسلام بخطة احتياطية من الأمم المتحدة بالتدخل العسكري عند الإخلال بتنفيذ البنود الستة. عندها كانت الأمور ستأخذ منحى مختلفا تماما. بالتأكيد ليس هو صاحب القرار في الحصول على ذلك لكنه صاحب قرار نفسه برفض الاستمرار بمبادرة عقيمة تزيد من آلام شعبنا السوري وعذاباته.

عنان صرّح مؤخرا عن طرحه اقتراحا جديدا على الأسد وموافقة الأخير عليه، وبأنه سوف يناقش ذلك مع المعارضة المسلحة. هذا العمل تأكيد جديد على محاولته اليائسة لتمييع الثورة ربما هذه المرة بـمحاولة التقارب بين قوات الأسد مع المعارضة المسلحة ضد المعارضة السلمية، لا غرابة في أن يفعلها عنان لكن من يقاتل لأجل الحرية لن يقبل بأقل منها. سينكشف القناع الزائف عن عنان وسينتهي أمره، لكن الانتفاضة الشعبية الحرة لن تنتهي إلا بانتهاء النظام الاستبدادي بكل رموزه.

سياسة أوباما الوقائية

ازدياد نفوذ داعش في كل من العراق وسورية أظهر هشاشة سياسة الإدارة الأمريكية، سوء تقديرها وسطحيتها في التعاطي مع الملف الشرق الأوسطي البالغ الأهمية وغياب إستراتيجية التعامل مع أهم قضية شغلت الولايات المتحدة منذ هجمات سبتمبر التي تصادف ذكراها الثالثة عشر هذا اليوم بالتحديد (عند كتابة هذه السطور) وأثبتت أن سياسة النأي بالنفس لن تجدي نفعا في سبيل إبعاد أمريكا من مخاطر الإرهاب. توسع داعش في كل من الموصل وسنجار "شنكال" وارتكابه لجرائم وحشية بداية بحق السوريين، العراقيين، الكرد الإيزيديين وبالأخص بحق الصحفيين الأمريكيين وضع إدارة أوباما أمام امتحان صعب حيث كان يبرر عجز سياسته بأن عدم التدخل في شؤون كل من سورية والعراق هو من مصلحة أمريكا وأن الجيش الأمريكي لن يقوم بالمحاربة عوضا عن الشيعة، السنة أو حتى الكرد بل إن عليهم أن يتقبلوا بعضهم البعض ويقتلعوا أشواكهم بأيديهم.

لا شك أن الذي حدث أعاد العراق إلى الواجهة من جديد عَكْسَ ترتيبات أوباما التي كانت عبارة عن إدارة الظهر وترك الحبل على الغارب حيث كان يعتبر ما يجري هناك هو نتيجة أخطاء إدارة سلفه بوش وهو غير معني بذلك في شيء سوى جلب البقية الباقية من الجنود الأمريكيين إلى ذويهم وكل ماعدا ذلك لم يأخذ حيزا يذكر في سلم أولوياته باعتبارها مخلفات أنهكت الاقتصاد وزادت من المخاطر على الأمن القومي الأمريكي وأنه سوف يقضي على الإرهاب بإلقاء الخُطب بدل القنابل.

من خلال الاستماع إلى خطب أوباما التي ألقاها أمس من البيت الأبيض بدا جليا بأن هذه الإدارة تسير وفق سياسة مقننة غير قابلة للتغيير على الرغم من كل التطورات التي ستكون لها آثار خطيرة على أمن المنطقة والعالم، سياسة إبقاء الأوضاع المأساوية قبل كل شيء في سورية وبعدها في العراق على حالها باستثناء ضربات وقائية على تنظيم إرهابي بات الصمت عن ممارساته اللا إنسانية أمر غير مقبول من الرأي العام الأمريكي قبل غيره، الأمر الذي فرض على أوباما تكوين حلف يضم أربعين دولة للاستمرار في ضرب مواقع داعش من الجو بالاعتماد على القوات البرية التابعة للحكومة العراقية المكونة حديثا والتي تضم أيضا قوات البشمركة الكردية التي لم يذكرها في إشارة منه إلى أهمية وحدة الدولة العراقية حرصا منه على عدم إثارة كل من إيران وتركية والحفاظ على ودهما، ثم إن إصرار إدارته الاعتماد على الحكومة العراقية يعني استمرارا إعطاء الدور الطليعي لإيران ومن خلالها حزب الله الذي

يحارب في صفوف النظام السوري الذي بدوره يفرز كل أسبوع مجموعة متطرفة جديدة.

سياسة أوباما الرخوة ربما كانت لها انعكاسات إيجابية لو أن ما يجري الآن في العراق أولا لم يكن سببه الرئيسي سلفه بوش من خلال هدم دباباته للبلاد وتركها في دوامة الحروب المذهبية .

ما يثير الشكوك حول جدية أوباما في القضاء على دولة الخلافة الإرهابية هو أنه يتغاضى عن حقيقة أن تنظيم داعش قد ألغى الحدود بين كل من سورية والعراق فيما هو مصر على ضربه في العراق قبل كل شيء نظرا لتواجد الأمريكيين على أراضيها وإذا اضطر الأمر قد ينفذ بعض الضربات الجوية على الأراضي السورية والتي بالتأكيد لن يستطيع من خلالها القضاء على التنظيم بل إضعافه فحسب.

من ناحية أخرى فإنه تحدث عن مهلة طويلة تتجاوز الثلاث سنوات للقضاء على هذا التنظيم أي أنه يريد بكل بساطة أن ينهي فترته الرئاسية الثانية والأخيرة دون حسم أي شيء في كل من سورية والعراق ويخرج من البيت الأبيض تاركا وراءه إرثا ثقيلا من الأزمات والمآسي التي ابتدأت مع سلفه بوش واستاءت خلال فترتي رئاسته ليسلّم عهدة ثقيلة غير منتهية لخلفه، في سبيل أن يزعم فيما بعد بأنه كان رئيس سلام وليس حروب خلال الثمانية أعوام من حكمه.

فصل الوضع السوري عن العراقي فيما يتعلق بمسألة الإرهاب والقضاء على داعش مضيعة للوقت، الجهد والإمكانات مادام الوضع

المأساوي في سورية على حاله فهذا يعني أن الإرهاب سيستمر وستكون هناك عشرات التنظيمات المماثلة تحت أسماء أخرى تخرج من خلال التربة الخصبة الصالحة لنمو التطرف.

إستراتيجية أوباما التي جاءت متأخرة هي إستراتيجية جرف الأوساخ ورميها تحت البساط لتتراكم وتفوح منها رائحة نتنة.

حرب على الإرهاب أم ردود أفعال ليس إلا ؟

التعامل الدولي مع الأحداث التي جاءت مترافقة مع مرحلة ما سمي بالربيع العربي أظهر الكثير من المفارقات في مواقفها وفرضت رسم إشارات الاستفهام حول حقيقة نوايا القوى الدولية تجاه التغيرات البنيوية التي قد تطرأ على النظم السياسية المستبدة والسائدة في العالم الثالث.

محاولة القضاء على الإرهاب وتنظيماته المختلفة التي تقوم بأعمال العنف المسلح لن تنجح على المدى البعيد دون وجود إستراتيجية بعيدة النظر تكون أهدافها هو القضاء على عوامل تكوّن الفكر المتطرف، أسباب ازدياد فرص التعبئة وسد الثغرات التي تمهد لنشوء البيئة الصالحة التي تعمل بدورهاعلى نمو بذرة التطرف في البلدان ذات النظم الاستبدادية، فيما في الجانب الآخر الغرب المصدر للسلاح والمستورد للمهاجرين واللاجئين وفشله في سياسة الصهر والاندماج.

عندما تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بعملية عسكرية من خلال طائرة بدون طيار لتصفية محمد إموازي ذباح داعش الذي نَحَرَ العديد من الرهائن الغربيين بينهم أمريكيون، عندما تكشف روسية عن

جريمة وراء تحطم طائرتها فوق شرم الشيخ وتعلن عن مكافأة قيمتها خمسين مليون دولار لمن يقدم معلومات عن الجناة على الرغم من إعلان تنظيم داعش مسؤوليته عن الحادث وفي الوقت نفسه تقصف طائراتها الحربية المواقع التي يريد النظام السوري التخلص منها والتي في أغلبها تابعة للجيش الحر، حين يسارع الرئيس الفرنسي أولاند إلى مضاعفة هجماته الجوية على معاقل التنظيم في سورية وملاحقتهم في أوروبا بعد الهجمات الإرهابية على باريس فإن كل هذه الإجراءات توحي للمتابع بأن الأمر ليس سوى ردود أفعال لاتتعدى مستوى الانتقامات ضد جناة محددين، تنتهي بالتخلص من هؤلاء ولا ترتقي إلى مستوى الطموحات بالقضاء على الإرهاب فكرا وعقيدة تنظمه جماعات تتماهى تحت أسماء لحركات مختلفة لكنهم يعتنقون مبدأ التطرف نفسه ويتزايدون عددا وعدة مستفيدين من انتشار الظلم وغياب العدالة الاجتماعية وفرض شريعة القوي على الضعيف من خلال دعم الدول الكبرى للنظم الديكتاتورية في العالمين العربي والإسلامي.

ليس بخاف على أحد بأن تنظيم القاعدة الذي كان موجودا بفترة طويلة قبل مرحلة الربيع العربي لم يتم القضاء عليه من خلال الغزو الأمريكي على أفغانستان ولا على العراق على الرغم من أن الغزو على العراق في حد ذاته لم يكن خطأً كونه أفضى إلى التخلص من ديكتاتورية صدام، بل الخطأ الجسيم كان في تحطيم البنية التحتية للدولة العراقية، تسريح أكثر من أربعمائة ألف ضابط وصف ضابط في الجيش العراقي وتحويلهم إلى

مسلحين، عاطلين عن العمل، ممارسات جنود الاحتلال لأسوأ أنواع المعاملة بحق السجناء في أبو غريب وغيرها من السجون العراقية، كانت أهم العوامل التي أدت إلى سقوط الأمريكيين في الوحل العراقي.

الأخطاء الجسيمة التي ارتكبتها إدارة بوش في العراق تشكل حتى يومنا هذا أحد أهم العوامل وراء تفاقم دور التنظيمات المتطرفة وعلى رأسها تنظيم داعش الذي تأسس في العراق وامتد فيما بعد ذلك إلى سورية مستفيدا من الفلتان الأمني فيها من ناحية ومن تجاهل النظام لانتشاره من خلال تركيزه على ضرب القوى المعارضة المعتدلة أو الأقل تطرفا.

العالم يواجه اليوم أكبر تحد له في مواجهة التطرف والإرهاب والقرارات الدولية الحالية التي تُتَخَذْ لمعالجة المشاكل التي تواجهها شعوب المشرق الإسلامي هي التي سوف تحدد مسار ومصير التنظيمات الإرهابية.

المتابع للأحداث يرى أيضًا وبكل وضوح مدى الارتباك والتخبط الذي أصاب العالم في مواجهة الإرهاب، طريقة مكافحته وعلى وجه الخصوص بعد التدخل الروسي العسكري المباشر في سورية وكل الخشية هو في أن يفرض بوتين أجنداته ويحصل بالتالي توافق روسي غربي على أساس العودة إلى سياسة دعم الأنظمة الشمولية، نظام الأسد نموذجا، كي يتمكنوا من خلالهم تسيير الأمور بالوكالة، حيث إن أمنهم القومي هو أهم ما لديهم، متناسين أن العالم قد أصبح شفافا اليوم أكثر من أي وقت مضى و لن يعود عقودًا إلى الخلف وأن الضمان الوحيد للدول الكبرى التي تدّعي الديمقراطية، تعمل على المحافظة عليها من الإرهاب والتطرف لن

يكون إلا من خلال العمل على نشر مبادئ الديمقراطية ودعم الشعوب الثائرة في معركتهم ضد الطغاة.

نظم الاستبداد يجب أن تُحَارَب في كل مكان فمن حق شعوب العالم الثالث أن تنعم بنفس القدر من العدالة الاجتماعية وتتمتع بالفسحة ذاتها من الحرية، حتى تستطيع شعوب دول العالم المتقدم الإحساس بالأمن والنعيم في بلدانهم وبذلك يتوقف صناعة البؤس، اللجوء وتصدير الأزمات. الحرب على الإرهاب لن تنتهي دون القضاء على أسباب نشوئها، نموها وتكاثرها.

سورية والعراق
أوباما وبوش

الكتاب الأجانب وتقييمهم لواقع بلداننا ليسوا نماذج يفترض بنا أن نقتدي بهم مهما بلغت نجاحاتهم في بلدانهم، سما شأنهم، علت مراتبهم وكثرت جوائزهم، بل إنني أستطيع أن أجزم بأن أقل كتابنا المحليين خبرة تبقى أبحاثهم وتحليلاتهم أكثر مصداقية، منطقية وأشد ملامسة للواقع من هؤلاء الذين يستشهد بهم كمراجع في شؤوننا السياسية وتتهافت الصحافة لنشر مقالاتهم المترجمة، من بين هؤلاء الكاتب الأمريكي توماس فريدمان فكتاباته بالدرجة الأولى موجهة للقارئ الغربي ومناسبة لتذوقه. استوقفتني كثيرا مقالاته عن شؤون الشرق الأوسط عامة والشأن السوري خاصة، كمحلل غريب عن الواقع لا يلام في عدم دقة المعلومة المحلية لديه وخلطه الديموغرافي من بلد شرق أوسطي إلى آخر مثله في ذلك مثل غيره من الكتاب الأجانب، لكن الذي جعلني أهتم بكتاباته أكثر من سواه هو تطابق الرؤى التام بين ما يكتبه وبين ممارسات الإدارة الأمريكية وموقفها الرسمي من الشأن السوري.

هناك مثل كردي يقول: من يحترق فمه من الحليب الساخن ينفخ حتى في كأس اللبن البارد بعدئذ.

هذا المثل ينطبق نوعا ما على الموقف الأمريكي حيال المأساة الأليمة في بلدنا سورية. تجربة الولايات المتحدة وإبداعها في حفر مستنقعها النتن في التربة العراقية بأيديها مندفعة إلى ذلك بحكم ضغط سيكولوجي هائل لإرضاء الرغبة الأمريكية العارمة في الانتقام لضحايا الحادي عشر من سبتمبر واسترداد كبريائها مندفعة بغرور العظمة من إمكاناتها على اقتلاع أنظمة لا توائمها وزرع أخرى موالية، معتمدة على إرشادات مغلوطة من بعض العراقيين في الخارج وتحليلات أمثال فريدمان الأمر الذي جعل نزوة بوش العسكرية باهظة الثمن بشريا وماديا واستغرقت تسع سنوات طوال حتى تمكنت قواته على الخروج من المستنقع الذي إلى يومنا هذا مازالت أوحاله عالقة بهم.

الإشارة إلى الفشل الأمريكي في العراق وإيعازه إلى التركيبة البنيوية هو تهرب من قول الحقيقة الكامنة وراء فشل الغزو الأمريكي للعراق والنهج الذي سلك لاحتلالها، أسبابها، دوافعها والأهم من ذلك كله هو الغياب التام لإستراتيجية الخروج من البلاد والهيكلية التي كان من المفروض أن ترسم قبل الاجتياح لعراق ما بعد صدام، لقد مارس جورج بوش الابن مقولة (فكر ثم أجب) عكسيا أي قام بالفعل ثم فكر بعدئذ بما فعل.

الأخطاء والانتهاكات الجسيمة التي ارتكبتها القوات الأمريكية بتواجدها الطويل على الأراضي العراقية قضت على أحلام وتطلعات

المواطنين في العالمين العربي والإسلامي إلى الديمقراطية الغربية كنمط سياسي، اجتماعي يحتذى به كما أن تلك الانتهاكات المتتالية ساهمت فى تعزيز مواقف ديكتاتوريات المنطقة بأنها تبقى الأفضل لشعوبها على الرغم من استبدادها.

التدخل الأمريكي في العراق لم يكن في الأساس لأجل الإطاحة بنظام صدام الديكتاتوري، إنقاذ الشعب العراقي وإحلال نظام ديمقراطي بديل كي ينعموا به، بل كان له دوافعه الأمريكية البحتة، فبالإضافة إلى رغبة الانتقام كان الهدف أيضا إرباك المنطقة وإقحامها في صراعات مذهبية وخلق توازنات طائفية بعد أن اعتدل الموقف الأمريكي تجاه الشيعة حيث إن مجمل الذين نفذوا هجمات الحادي عشر من سبتمبر كانوا من السنة.

حين قصف صدام مدينة حلبجة بالأسلحة الكيماوية عام 1988 وقتل أكثر من خمسة آلاف مواطن كردي نساء، أطفال شيوخ، النخوة الأمريكية والغربية كانت غائبة. ذاكرة مواطني الشرق الأوسط ليست مثقوبة ويدركون الدوافع الحقيقية وراء كل خطوة سياسية أجنبية. الإطاحة بنظام صدام حسين الدموي غير مأسوف عليه على أي حال، لكن ما يؤسف عليه هو معاناة الشعب العراقي وتشتته الأليم.

لا أحد يستطيع الادعاء بأن الأزمة السورية سهلة وحلها يسير لكن تشبيهها بالتوأم مع العراق كما يحلو للسيد فريدمان أن يصورها أمر لا يخلو من السطحية ومحاولة تبرئة الذمة الأمريكية، هناك التشابه من

النواحي الديموغرافية والإثنولوجية وحتى الأيديولوجية المتمثلة بحزب البعث، لكن ليس هذا ما يجب الأخذ بعين الاعتبار هنا بل طريقة وأسباب الغزو الأمريكي للعراق مقابل ما هو مطلوب من الولايات المتحدة الآن حيال الأزمة السورية.

الشعب السوري يقارع آلة القتل في سبيل نيل حريته وليس لاستجداء احتلال أمريكي مشابه لما حصل في العراق.

فريدمان يقول في مقالة له نشرت في صحيفة نيويورك تايمز مؤخرا بعنوان سورية توأم العراق:(بأن سورية ليست مثل ليبيا لكنها مثل العراق وهذه المرة لن تلعب الولايات المتحدة دورة القابلة).

يضيف فريدمان:

(السبب الوحيد لإمكانية العراق من التوصل إلى مخرج مقبول للأزمة هو بقاء عشرات الآلاف من القوات الأمريكية وقيامها بدور القابلة المسلحة).

هنا يغفل فريدمان عن السبب الحقيقي وراء بقاء القوات الأمريكية وهو تحطيم الدولة العراقية لا النظام فقط وتفتيت بنيتها التحتية اللا مسئول .

يضيف فريدمان:

(لا أريد أن أرى أي تدخل أمريكي في سورية أو في أي مكان من العالم العربي كما أن ذلك لن يكون مرحبا به من الشارع الأمريكي).

هذه هي الحقيقة العارية أي أن الأمريكيين اختاروا أوباما ذوي الأصول

المسلمة ليس محبة بالمسلمين والإسلام ولكن لكي يجنبهم الاستمرار في العداء مع العالم الإسلامي ويحافظ بذلك على الأمن القومي الأمريكي وكل ما عداه فخار يكسر بعضه!

كما يقول الكاتب أيضا:

(كانت العواقب المأساوية لاحتلال العراق هو التطهير العرقي وتحويل البلاد إلى تكتلات متجانسة سنة، شيعة، كرد).

القضية الكردية كانت موجودة قبل صدام حسين بعقود كشعب على أرضه التاريخي، أما النزاع المذهبي فالولايات المتحدة كانت من بين من أشعلوا فتيلها.

ويردف فريدمان:

(عندما فترت الحرب الأهلية وسئمت الأطراف المتنازعة من الاقتتال، توسطت الولايات المتحدة باستصدار دستور جديد واتفاق حول تقاسم السلطة).

هنا تشابه كبير في الموقف الأمريكي حيال الأزمة السورية من خلال كل ما رأيناه من التباطؤ في التعاطي مع الأزمة وذلك حتى يملّ الطرفان من قتل بعضهما البعض، حينئذ سوف تتوسط أمريكا لإيجاد أطر للحل.

ويقول أيضا:

(لا يمكن الانتقال من صدام حسين إلى الديمقراطية دون الدخول في حرب الجميع ضد الجميع).

ويختم فريدمان مقالته: (بدون قابلة خارجية أو مانديلا سوري سوف

تبقى نيران النزاع متقدة طويلا).

الخشية من البديل القادم، البيانات الجوفاء، التمني، السلبية هنا أيضا يعكس التباين الكبير في السلوك الأمريكي بين جورج بوش الهجومي وأوباما الاستسلامي والافتقار إلى نهج أكثر اعتدالا يفترض أن تتحلى به دولة عظمى مثل الولايات المتحدة الأمريكية.

حرب النجوم في سورية

بعد مضي أكثر من عام ونصف على الأوضاع المأساوية التي يعيشها السوريون وما خلفته آلة القتل والدمار بالبلاد والعباد يبدو العالم الخارجي أكثر تخاذلا وأقل حزما وأبعد من أن يتوصل إلى اتفاق حول خلق مبادرة قوية تكون من شأنها وقف نزيف الدم في سورية.

وهنا أريد أن أقول لكل من يهمه ولا يهمه الأمر بأن الشعب السوري لم يعد لديه خيار غير الاستمرار في الدفاع عن نفسه. في البداية كنا نقاتل من أجل حريتنا لكننا الآن نقاتل للدفاع عن أرواحنا هذا ما يردده السوريون اليوم.

ليس هناك من بريق أمل في الأفق يلوح ببشائر الخروج من المحنة العميقة فالعالم الخارجي لا يحس بالقلق مادام الخطر لا يطرق أبواب القوى النافذة، بل ربما استمرار الاقتتال في سورية يعطي تلك الدول الشعور بنوع من الارتياح وبأن التيارات المتطرفة التي شكلت مصدر أرق للكثير من الدول الكبرى هم منهمكون بقتل بعضهم البعض فلا بعث شوفيني

مشحون بدعم شيعي ولا إسلام سني أوصولي ولا قراصنة ولا جنود مرتزقة سيكون لديهم متسع من الوقت للتخطيط لأعمال عدوانية في أماكن أخرى من العالم.

الرئيس المصري محمد مرسي الذي سعى مؤخرا إلى اجتماع إقليمي لكي يضم الدول التي لها تأثير مباشر على أطراف النزاع في سورية: تركية، إيران، السعودية مبادرته ولدت عقيمة وحكمت بالفشل قبل وضع خطوطها الأولية وذلك من خلال تغيب السعودية المتعمد من جهة ودعوة إيران التي أعلنت مرارا رفضها لأي حل سياسي يتضمن رحيل الأسد والتي بمثابة دعوة لأركان النظام السوري الذي حتى هذه اللحظة يردد موشح المؤامرة. الاجتماعات الأخيرة في نيويورك على خلفية لقاء الخريف الحالي للجمعية العامة للأمم المتحدة لم ولن تثمر عن أي خطوات جديدة سوى عملية تكرار عقيمة للاجتماعات السابقة والخطابات الجوفاء، حتى لهجة أوباما المتشددة في خطابه الأخير لا تعد أكثر من لعبة دعائية لكسب الأصوات ضد منافسه الجمهوري رومني الذي ينتقد سياسته الخارجية تجاه سورية وإيران.

الدول المتورطة في الأزمة السورية لها مصالحها الإستراتيجية في المنطقة بشكل عام وهذا الأمر لم يعد خافيا على أحد حتى من ليست لديه اهتمامات سياسية بات على دراية بالأسباب الكامنة وراء سلوك هذه الدول حيال سورية المنكوبة.

أما سلوك العالم المنادي بشعارات الديمقراطية وحقوق الإنس والجن،

الاهتمام بمشاكل البيئة والطبيعة، حقوق المثليين، الرفق بالحيوان، حرية التعبير وسيادة القانون لا تشمل اهتماماتهم ما يجري للشعب السوري وما يتعرض له من سفك للدماء وهتك للحرمات، بعد كل هذه المناورات والمماطلات والقرارات المتهاونة ليس له سوى تفسير واحد هو الجبن السياسي وعدم القدرة على اتخاذ القرار الصائب خشية مما سيجلب لهم من عواقب.

الادعاءات بالوقوف إلى جانب الشعب السوري الذي أصبح أسيرا مسلوب الإرادة في وطنه ولاجئا بائسا بلا حول ولا قوة في الدول المجاورة هي ازدواجية ليست في المواقف فحسب بل في الأخلاق والقيم الإنسانية وبالمعايير الفكرية فهو عهر سياسي بكل ما للكلمة من معنى.

الأخضر الإبراهمي لم يأت بجديد ولن يفلح في قديم بل إنه بدأ منتهيا منذ أن ردد مقولته بعد لقائه الأسد: (السيد الرئيس)، (السيد الرئيس يعرف أكثر مني) لأكثر من ثلاث مرات في أقل من ثلاث دقائق وكأنه يتحدث عن داعية سلام لا ديكتاتور متشبث بالسلطة وأمير حرب مسبب لبؤس الملايين من السوريين، ثم تطبيله المتكرر على دف الترويع من النزاع في سورية وبأنها تشكل خطرا على المنطقة والعالم في حين كان عليه أن يقول للعالم الخارجي بأن عدم حل الأزمة في سورية وبقاء هذا النظام حاكما في دمشق هو الخطر الحقيقي على الأمن والسلام الدوليين.

المنظومة الدولية بكل مؤسساتها السياسية وصروحها الدبلوماسية فقدت مصداقيتها الأخلاقية أمام المواطن العادي في معظم دول العالم

الإسلامي من خلال تجاربها المشئومة المختلفة مرة من خلال بعثاتها العبثية من الدابي إلى الأخضر الإبراهيمي مرورا بعنان، ومرة أخرى من خلال لقاءات أصدقاء سورية واجتماعات الأمم المتحدة التي تستصدر قرارات مسبقة الصنع والآن الدول الإقليمية المعنية. في الوقت الذي يرتفع فيه أعداد الضحايا من العشرات إلى المئات يوميا دون أن تشكل وتيرة العنف المتزايد صفارة إنذار للمجتمع الدولي بأن موقفنا من مأساة الشعب السوري خطأ ويجب تصحيحه. مع الأسف كلما زادت همجية النظام في التعامل الوحشي مع شعبه المنتفض كلما فترت وخارت الجهود الدولية في التعامل مع الأزمة.

لكن قريبا سيبدأ الأمريكيون بإنتاج أفلام هوليودية بميزانيات مليونية ضخمة للتحدث عن حرب النجوم في سورية وكيفية معالجتها وإنقاذ أهلها من مخلوقات خرافية بفضل الأبطال الأمريكيين ثم عودتهم الميمونة منتصرين إلى ديارهم في الوقت الذي يستمر الشعب السوري في تقديم الضحايا بالمئات يوميا على أرض الواقع.

التهديدات الأمريكية؟

المشاهد المأساوية للمجازر المتتالية في سورية لم تنقطع يوما منذ بداية الثورة السورية كما أنها لم تفارق مخيلتنا نحن معظم السوريين المقيمين خارج الوطن والصمت الدولي هو الذي منح النظام جرأة الإيغال في القتل والإفراط في الوحشية. المجتمع الدولي الذي بقي مشلول الإرادة نتيجة الفيتو الروسي، الصيني، سيبقى كذلك إذا استمر في التحكم لمجلس الأمن فيما نظام البعث يذبح السوريين على مدى أكثر من ثلاثين شهرا مستخدما مختلف أدوات القتل التقليدية الثقيلة في طول البلاد وعرضها، وصولا إلى استخدام الأسلحة الكيماوية في أماكن متعددة من البلاد منها حي الشيخ مقصود ذي الأغلبية الكردية في مدينة حلب مرورا بالبراميل المتفجرة والقنابل العنقودية، وأوصل هذا النظام بسورية بلدا وشعبا إلى الوضع الكارثي الذي نشهده اليوم.

الآن وبعد التأكد من استخدام النظام للأسلحة الكيماوية في غوطتي دمشق في 21 من أغسطس الماضي والتي أودت بحياة أكثر من 1500

شخص جلّهم من النساء والأطفال مازالت الدول التي أعلنت صداقتها للشعب السوري واقفة مكتوفة الأيدي فيما الولايات المتحدة الأمريكية برئاسة أوباما تترنح بخطوة إلى الأمام واثنتين إلى الخلف في تلويحها بتوجيه ضربات عسكرية على مواقع النظام بغية شلّ قدرته على إعادة استخدام الأسلحة المحرمة دوليا.

الأزمة السورية ليست الأولى من نوعها فيما يتعلق بعدم إجماع المجتمع الدولي على التدخل العسكري، وقد لجأت الدول الغربية سابقا إلى التدخل خارج غطاء الأمم المتحدة كما حدث في كوسوفو 1999 وفي العراق 2003.

كلفة الغزو العراقي باهظة الثمن هي من أشد العوامل التي تقيّد التحرك الأمريكي بينما الأكثر تشابها هو وضع كوسوفو 1999 حيث إنّ روسيا والصين كانتا من أشدّ المعارضين لفكرة التدخل العسكري، لكن حين أصبح العمل العسكري أمرا واقعا تعاون الروس مع إدارة بيل كلينتون لإقناع ميلوسوفيتش بالاستسلام.

ما يثير السخرية أن بعض المسئولين العراقيين يدلّون بتصريحات تخلو من المسؤولية تجاه ما يتعرض له الشعب السوري من قتل عام وإبادة جماعية ويدعون إلى مناهضة التدخل العسكري في سورية وبأن ذلك شأن سوري داخلي متناسين أنه لولا الدبابات الأمريكية لكان صدام حسين قابعا على صدورهم حتى يومنا هذا ولما كان لهؤلاء وجود.

شعارات الوطنية الزائفة وإلصاق تهم التخوين بمن يريد التدخل

الخارجي لوضع حد للصراع في سورية هي مجرد جعجعة لن تحمي أرواح السوريين، ولن تطيح بنظام البعث وسيبقى الأسد على رأس السلطة كما أن المعارضة لن تتمكن من إسقاطه بالاعتماد على إمكاناتها المحدودة، خاصة بعد تغلغل فصائل من القوى الإسلامية الراديكالية التي شوّهت الملامح الثورية للمعارضة بممارساتها البربرية من قطع للرؤوس، تمثيل بالجثث وساهمت إلى حدّ كبير بتقليص حجم التعاطف مع المعارضين للسلطة والوقوف إلى جانب الشعب السوري ومطالبهم الشرعية كدعاة للحرية، الديمقراطية والتعددية السياسية كما أنهم أصبحوا السبب الرئيس في عدم إمداد القوى المعتدلة بأسلحة نوعية لحسم المعركة.

الولايات المتحدة الأمريكية سوف تقصف مواقع النظام لكن ليس لحماية الشعب السوري ولا لمعاقبة الأسد على استخدامه للأسلحة المحرمة دوليا كما تدعي، كذلك ليس لتخليص النظام من مخزونه من الأسلحة الكيماوية لأن تلك الأسلحة كانت في عهدة النظام منذ عشرات السنين، بل سوف تقصف المواقع الحيوية تزامنا مع ازدياد الضغوط على النظام بشكل خاص في مناطق ريف دمشق قريبا من مخازن تلك الأسلحة وقبل وقوعها بأيدي المعارضة التي تسيطر عليها القوى الإسلامية المتطرفة من وجهة النظر الأمريكية، على الرغم من أن أبطال الغوطة هم الثوار الحقيقيون الذين صمدوا في وجه آلة القتل الأسدية، لكن أمريكا ترى فيهم تهديدا لأمنها القومي وأمن حلفائها في

المنطقة وخاصة إسرائيل.

تبقى الضربات الأمريكية المحتملة على الرغم من كل ذلك أملا يترقبه السوريون بمشاعر ممتزجة بين الإباء الوطني وبين الأمل بأن تسهم تلك الهجمات على إضعاف قدرات النظام الجوية التي بوساطتها يوزع سمومه القاتلة وربما جرّه فيما بعد إلى طاولة مفاوضات سياسية قد تتمخض عنها تشكيل حكومة انتقالية لا يكون الأسد جزءا منها.

فوائد إنهاء النظام

شعبنا السوري العريق يرزح تحت نيران المدافع، يتشرد في العراء، يلتجأ إلى الدول المجاورة هاربا من بطش النظام، ينزح في بلده من منطقة إلى أخرى حاملا معه أتراحه، همومه الثقيلة وأحلاما ضاعت سدى في عيون لا تهنأ بنعمة النوم ولا تجف من دموع الألم ومرارة فقدان الأهل، البيت، الانفصال عن تربة الوطن والإحساس بالأمان في زمن أغبر لن ينسى بسهولة هذا الصمت المخزي من المجتمع الدولي الذي يطيل أمد عذاباته ومعاناته.

الولايات المتحدة الأمريكية عمدت منذ بداية الانتفاضة الشعبية في سورية على إرسال الإشارة تلو الأخرى إلى النظام بأن لا نية لها مهما حصل أن تقوم بالتدخل العسكري، بأنها تريد أن يقود الأسد بنفسه عملية إصلاح وتغيير ديمقراطي في البلاد وتحويلها من نظام حكم شمولي إلى جنة عدن.

الآن إذا نظرنا إلى مصداقية مثل هذا الموقف مع الأخذ بعين الاعتبار

نهج النظام السوري، سلوكه، أيديولوجية حزبه الحاكم منذ 1963، عقود الحكم من قبل الأسد الأب وأسلوب انتقال السلطة إلى الابن الذي استمر في الحكم على المنوال ذاته بكتم أنفاس شعبه مجهزا بجيش جرار من جلاوزة الأمن والقمع، نرى أن تصريحات أمريكا السابقة حول مطالبة الأسد بقيادة الإصلاحات التي تطورت إلى التغيير في النظام من النظام وصولا إلى مطالبته بالتنحي هي نكتة سخيفة وضحك على الذقون، أمريكا بحكم خبراتها وإمكاناتها وبمقارنة بسيطة مع النظم الشبيهة عبر التاريخ تعرف بأن ذلك لن يتحقق ولم يتنح أي ديكتاتور عن السلطة طواعية. يقول الكثيرون بأن السبب في ذلك ليس حبا في بقاء الأسد في السلطة، لكنه مزيج من الكره والخشية من البديل القادم المتمثل بالدرجة الأولى بالإسلاميين، لكن الاستمرار في التغاضي عما يجري في سورية من جرائم وانتهاكات أدى إلى تواجد البيئة المناسبة لتجمع كل متطرف ومنبوذ وأفّاق في أجزاء كثيرة من الأراضي السورية وسوف يتفاقم مثل هذا التواجد طردا مع إطالة أمد الأزمة، هذا الأمر يجب أن يشكّل مصدر قلق حقيقي ليس لأمريكا فحسب بل كافة الدول المعنية والخطر يأتي من خلال مجموعات مماثلة وليس من خلال انتقال السلطة إلى تيارات دينية معتدلة كما حصل في دول الربيع العربي.

ميخائيل دوران من المحليين السياسيين المتمرسين في مؤسسة بروكينغز وماكس بووت مستشار المرشح الجمهوري رومني في حملاته الانتخابية يقولان في مقالة مشتركة لهما بعنوان (سورية حالة للتدخل) نشرت في

صحيفة نيويورك تايمز، فيما يلي ملخص عنها:

هناك خمسة أسباب لإنهاء نظام الرئيس الأسد يوما قبل الآخر:

أولا: التدخل الأمريكي سوف يقلل من النفوذ الإيراني في المنطقة، إيران التي تدعم النظام السوري بقوات من حرسها الجمهوري والمعدات والخبرات تعلم حق المعرفة بأنها سوف تخسر أهم قاعدة لها في العالم العربي وتفقد الشريان الموصل إلى حزب الله في لبنان.

ثانيا: بهيمنة سياسية أمريكية يمكن منع النزاع من الانتشار. لقد امتدت الحرب الأهلية إلى لبنان، العراق والحكومة التركية قد اتهمت الأسد بدعم المسلحين الكرد لتأجيج الوضع بين الكرد وتركيا.

ثالثا: من خلال تجهيز وتدريب شركاء لها من ثوار المعارضة السورية في الداخل تكون أمريكا قد أقامت حصنا منيعا في وجه الجماعات المتطرفة مثل القاعدة المتواجدة فعلا والتي تبحث عن منطقة آمنة في الزوايا التي لا تخضع للحكومة.

رابعا: القيادة الأمريكية تستطيع تحسين علاقاتها مع حلفائها مثل تركيا وقطر. رئيس الوزراء التركي أردوغان ونظيره القطري انتقدا الولايات المتحدة لتقديمها مساعدات غير مجدية للثوار. الاثنان يفضلان حظرا جويا وإقامة مناطق آمنة للمدنيين السوريين داخل الأراضي السورية.

أخيرا: التدخل الأمريكي سوف ينهي كارثة الانتهاكات الفظيعة لحقوق الإنسان في سورية ويوقف تدفق اللاجئين التي تشكل عبئا ثقيلا على الدول المجاورة.

الآن الفرصة مهيأة للولايات المتحدة بمنع الإبادات الجماعية والقتل العام بوضع الحلفاء في المقدمة يستطيع أوباما فعل ذلك دون الانزلاق إلى التدخل البري.

الأصدقاء المقربين في المنطقة يريدون رؤية الأسد ساقطا بأسرع وقت ممكن. فرنسا وبريطانيا يمكنهما المساعدة. لكن لن يتحرك أي منهما قبل أن تفعلها الولايات المتحدة.

لا نستطيع الانتظار حتى تقوم الأمم المتحدة بعمل، كما إن ذلك غير مأمول، لا نستطيع التوقع بأن الجيش الحر سوف ينتصر على الأسد بالاعتماد على ذاته فقط، إنه ليس تنظيما متماسكا.

على الولايات المتحدة معرفة القوى الأكثر فاعلية على الأرض الذين يمكن تجهيزهم ومساعدتهم بسهولة.

التركيز يجب أن يقع على حلب ثاني أكبر مدينة سورية ومحورها الاقتصادي، الجيش الحر يسيطر فعليا على مساحات كبيرة بين حلب والحدود التركية على بعد 65 كم فقط .

بالمساعدة الأمريكية يستطيع الجيش التركي بسهولة إقامة ممرات آمنة للمساعدات الإنسانية والتزويد بالاحتياجات العسكرية. إلحاق الهزيمة بقوات النظام في حلب سوف تشكل ضربة قوية ورسالة للجالسين على الأريكة بأن نظام الأسد في طريقه إلى الزوال.

الهدف الثاني يجب أن تكون العاصمة. لكن ليس مثل حلب فلا يمكن الوصول إليها بسهولة عن طريق القواعد التركية. لكن يمكن تزويدهم

من درعا التي تبعد 110 كم من دمشق وأقل من عشرة كيلومترات للحدود الأردنية والمدينة التي انطلقت منها طليعة المعارضين للأسد. بالتعاون مع الأردن تستطيع الولايات المتحدة إقامة ممر آمن ثان إلى درعا لخدمة القاعدة الجنوبية للتمرد.

لمنع الأسد من القيام بأعمال انتقامية مدمّرة على أمريكا وحلفائها فرض الحظر الجوي على سائر البلاد. الأسد استخدم الطائرات الحربية والمروحيات في القتال ضد الثوار مع الحظر الجوي سوف ينتهي مفعول كل السلاح الجوي لديه بسرعة. عندئذ تتمكن طيارات الناتو الحربية من تقديم دعم شبيه بالذي قدم في كوسوفو وليبيا. في الوقت الذي يقوم حلفاؤنا بعملية الحظر الجوي تعمل أمريكا على إرساء ذلك مثل ما حدث في ليبيا. فقط قواتنا الجوية والبحرية لديها السلاح اللازم لإبطال مفعول سلاح الدفاع الجوي السوري الروسي بأدنى المخاطر. أسلوب الدعم من الخطوط الخلفية سوف يحقق الغرض في سورية على أوباما التنفيذ.

هل حقاً يوجد بديل عن التدخل العسكري؟

الدولتان الراعيتان لمؤتمر جنيف، الولايات المتحدة وروسيّا تريدان أن تقنعا الجميع بأن الحل السياسي هو المخرج الوحيد من الأزمة السورية وهما بأنفسهما ليستا مقتنعتين بمشروعهما المشترك، روسيّا تريد أن ترى كفة النظام تترجح على المعارضة ولذلك تطالب بوقف إمدادها بالسلاح، فيما أمريكا تعرف حق المعرفة وبعد ملف الكيماوي على وجه الخصوص بأن الحل السياسي لن يرى النور دون التلويح بالعصا الغليظة في وجه النظام السوري.

مع كل ذلك ينعقد المؤتمر وكأن الهدف منه هو استعراض سياسي وإعلامي للتحدث عمّا يجري في سورية أكثر من كونه فرصة لتقديم الحلول وإنهاء الأزمة .

وفد الائتلاف ظهر متماسكا أكثر من أي وقت مضى مقابل وفد النظام الذي بدا مهزوزا وما زال يبدو هلعا لمجرد طرح مسألة هيئة الحكم الانتقالية من دون أن يكون للأسد دور فيها، فأي تسوية سياسية من

شأنها وقف نزيف الدم السوري يمكن أن يرتجى من هكذا وفد، هم مخولون بالتفاوض ضمن حدود التعليمات التي حصلوا عليها من الرئيس والدائرة الضيقة من حوله وغير ذلك سوف يعتبر خروجا عن النص وبالتالي أكبر من أن يتناولها السيد المعلم وصحبه. لاشك أن مناقشة الجوانب الأخرى، كفتح ممرات لإيصال المساعدات الإنسانية، تبادل الأسرى والسجناء لها أيضا أهمية وكل اتفاق ينقذ حياة مواطن سوري واحد من القتل، الاعتقال، الأسر أو الحصار هو إنجاز كبير، إلا أن ذلك كله في هذا السياق لا يعتبر حلا للمأساة التي يعانيها السوريون عموما والدمار الذي يطال الأخضر واليابس في بلد أنهكه الصراع المسلح على مدى سنوات ثلاث. المؤتمر لن يشكل خطوة في مسيرة طويلة ولا نواة لسلام مأمول، بل على النقيض من ذلك فالنظام يحاول توظيف كل إمكاناته من خلال هذا الحشد الدولي الهائل للحصول على فرصة جديدة تمكّنه من المضي في ممارسة حلّه الأمني الذي جلب الويلات على البلاد، لذلك نشاهد أعضاء وفده يركّزون على توجيه خطابهم إلى الغرب في محاولة لاستجداء العواطف بغية الحصول على تأييد أو شبه اعتراف دولي بشرعية مؤقتة تمكنت قوات الأسد من ارتكاب المزيد من المجازر وتهجير المزيد من الشعب.

وفد الائتلاف على الرغم من غياب أطراف أخرى من المعارضة إلا أنه بدا مدركا لدوره واثقا من تمثيله للسوريين والأهم من كل ذلك عاكسا تنوع المجتمع السوري بتواجد مختلف مكوناته وخاصة أعضاء من

المجلس الوطني الكردي الذين انضموا مؤخرا للائتلاف كممثلين لثاني أكبر قومية في البلاد إلى تشكيلة الوفد، الأمر الذي أضفى زخما خاصا للمعارضة مقارنة مع وفد النظام الذي لم يضم سوى البعثيين، حيث يمكن بكل سهولة تسمية الوفد المعارض بوفد الشعب السوري في مواجهة وفد الأسد أو على أحسن تقدير وفد النظام.

لاشك أن الولايات المتحدة وحلفاءها توصلوا إلى قناعة بأن تباطؤهم في التعاطي مع الملف السوري قد أعطى نتيجة معكوسة فالجماعات الإرهابية تتكاثر يوما بعد الآخر وأن الإرهاب سيكون موجودا مادام نظام البعث قائما لكن الخطر لم يتجاوز حتى الآن الحدود السورية بكثير باستثناء بعض الانعكاسات في لبنان.

مرة أخرى يبقى التوقيت!

متى؟

كم من الدماء السورية يجب أن تراق قبل أن تتخذ القوى الدولية وعلى رأسها الولايات المتحدة قرارها بإنهاء معاناة السوريين. إدارة أوباما تعرف حق المعرفة بأن نظام الأسد لن يتورع عن قتل وتشريد جميع السوريين المناوئين له في سبيل إعادة توطيد حكمه ولن تردعه إلا القوة.

السوريون هم خير من يعرفون بأن لا مشروع سلام في ظل الأسد، ولا رأي للمواطن في انتخابات نزيهة أو تصويت حر مع وجود حزب البعث الحاكم، في انتظار أن يأتي توقيت المجتمع الدولي الملائم لدق طبوله سوف تستمر محاولات التوصل إلى حلول سياسية مع محاور لا يسمع إلا صوته.

في انتظار حاكم جديد للبيت الأبيض

ستة أشهر لتشكيل حكومة انتقالية وثمانية عشر شهرًا لإجراء انتخابات مع تغيير للدستور هذه هي التوصيات التي تمخضت عنها اجتماعات وزراء خارجية الدول المعنية بالشأن السوري في فيينا مؤخرًا.

لكن التطبيق على أرض الواقع يختلف كثيرا عن التصريحات التي لا تقدم من الأمر شيئا بل على العكس فإنها تزيد من عمر الصراع وتعطي آمالًا زائفة حول إمكانية بناء جسر حقيقي يعبر من خلاله السوريون إلى بر الأمان.

الخلاف كان واضحًا بين كل من لافروف وكيري في مؤتمرهم الصحافي الذي ضَمّ أيضا مبعوث الأمم المتحدة الخاص لسورية دي ميستورا، ما يعني (دق المي.. وهي مي). الموقف الروسي والإيراني لا يزال على حاله إن لم يكن أشد إصرارًا من ذي قبل حول مسألة بقاء الأسد في السلطة، وانفصام الوزير الروسي عن الواقع كان جليًا من خلال دفاعه عن الأسد في مواجهة نظيره الأمريكي حيث ادَّعى: بأن تنظيم داعش كان موجودا

منذ عشر سنوات والأسد ليس له يد في نموه وتعاظم شأنه، متناسيًا أن داعش قد تأسس من بقايا ضباط نظام صدام حسين في الفلوجة وأن النظام السوري كان أول الداعمين لهم إبان سقوط العراق ليس محبة بهم بل لكي يتورط الأمريكيون في مستنقع العراق، بذلك يحمي نظامه من أن يواجه المصير نفسه الذي واجهه صدام حسين. كما أن ادعاءات كل من روسية وإيران بأن الشعب السوري هو من عليه أن يقرر مصير الأسد هي ليست سوى عملية ضحك على الذقون فمثلما لم يكن للسوريين دور في حوارات فيينا، لم ولن يكون لهم دور أو رأي في ظل حكم آل الأسد الشمولي. كل الدلائل تشير إلى افتقاد الإرادة الدولية للقيام بعمل حاسم ينهي معاناة السوريين. استمرار التعنت الروسي والإيراني مقابل استمرار كل من تركية والسعودية بدعم الفصائل المسلحة فإن القتال سوف يستمر بالوتيرة نفسها إن لم يكن أشدُّ وطأة.

بعد ذلك بيوم واحد في اجتماع قمة العشرين الاقتصادية في أنطاليا التركية، تم التركيز بشكل عام وفي لقاءات هامشية ثنائية على ضرورة توحيد الجهود لمحاربة تنظيم داعش الإرهابي مع غياب تام لرسم أي إستراتيجية حقيقية للقضاء على عوامل نشوء الإرهاب وأسباب وجوده ونموه.

للأسف لا مناص من انتظار قوة تدخل خارجية مُجدية، فَعَّالة للانتصار على الاستبداد والسبب الرئيسي في ذلك هو اعتماد نظام الأسد نفسه على قوة دولية كبرى مثل روسيا وأخرى إقليمية مثل إيران للبقاء في السلطة

وربما أن الرئيس الأمريكي الحالي انتهج منذ توليه السلطة سياسة النأي بالنفس في سبيل إبعاد المجتمع الأمريكي من مخاطر اصطدامات جديدة مع الحركات الإسلامية المتطرفة ولأن القوى الغربية الأخرى اعتادت أن تنتظر مبادرة الأمريكيين دون أن يكونوا هم أصحابها فليس على السوريين سوى الانتظار عامًا آخر وقدوم رئيس أمريكي جديد، لا فرق حقًا إن كان من الجمهوريين أو الديمقراطيين ففي أسوأ الأحوال لن يأتي رئيس أضعف من الحالي، حتى وزيرة خارجيته السابقة هيلاري كيلنتون والمرشحة لرئاسة البيت الأبيض. لم تكن متوافقة مع سياسته السلبية حيال الأزمة السورية.

فرنسا كانت الدولة صاحبة المواقف المتميزة عن غيرها من الدول الأوروبية من حيث إصرارها على ضرورة تنحي الأسد لتثبيت دعائم السلام في سورية، القضاء على الحركات الإرهابية وربما هذا ما يفسر سبب الهجمات الإرهابية الموجهةِ ضدها والتي كان ضحاياها مواطنون مدنيون أبرياء، في الوقت نفسه فإن هجمات باريس تعكس أيضا سلبية تعاطي الغرب مع الأحداث في المشرق، أكبر مثال على ذلك هو ترك الحبل على الغارب في سورية والعراق.

نستخلص مما سبق ذكره حول السياسات الرخوة لكل من أمريكا والغرب حيال الملف السوري بأن روسية سوف يكون لها اليد الطولى في إدارة الأزمة وهي التي تريد بقاء الأسد في كل الحكم أو جزء منه وأفضل التوقعات سيكون حلًا على الطريقة اليمنية (حلًا) أدخل اليمن في دوامة

من الصراع الدموي، حيث مكافأة المجرم علي الصالح، معالجة حروقه ومَنحهِ ضمانات الحَصانة، جعلته يتمادى من خلال استمراره في القتال مندفعًا برغبة الانتقام وشهوة العودة للسلطة.

السوريون عليهم الانتظار عامًا آخر وحاكمًا جديدًا في البيت الأبيض.